المبحث الثالث

الوضع السياسي في الأندلس قبيل الفتح العربي

أولاً:مقدمة عن الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة الإيبيرية

أَما مُلكهم فكانَ لطوائف من الأُمم مُختلفة تداولوُها أُمة بَعدَ أمة، فمِنْ تِلك الأمم، الروم وكانَ عمالهم ينزلون مدينة طائف العتيقة المجاورة لإشبيلية، وإتصل مُلكهم بها زَماناً طويلاً إلى أَنْ غلَبَهُمْ عليها القوط فَإنتَسَخَ المُلك الرومي مِنها، وإتخَذَ القوط مدينة طليطلة مدائنها العتيقة قاعِدةً لِمُلكِهم، وملكوا الأَندلس أَفخم مُلك قريباً مِنْ ثلاثمائة سنة، إلى أن غلبهم المسلمون عليها في رمضان سنة إثنين وتسعين من الهجرة (92 هـ / 711م)[1].

كانت أسبانيا جزءاًً لايتجزأ من الإمبراطورية الرومانية، ولما سقطت روما في يد الجرمان، إستولى الجرمان على أملاك الرومان في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، وكانت إسبانيا من نصيب القوط [2].

فقد دخلت ((أُمة القوط معَ ملكٍ لهم الأندلسَ وإقتطعوها من يومئذ صاحب رومة وتقربو بسلطانهم، وإتخذوا من مدينة طليطلة دار ملكهم))[3].

كانت مملكة القوط هي الأخيرة في سِلسِة ممالك البرابرة التي خَلفتْ الإمراطورية الرومانية، والتي إنتهت ككيان سِياسي واختفت من مسرح التأريخ بعد ان قوّضت صُرُوحها [4].

ونتيجة للحروب لكثيرة التي قامت بين القبائل الجرمانية و بين القوط الذين كانوا يسكنون في تلك الفترة في غالة جنوب فرنسا، تحطمت قوة الرومان والوندال الذين اضطروا الى العبور الى شمال افريقية عام (429 م)، فتمكن القوط اخيرا من السيطرة على أسبانيا والتغلب عليها في عهد الملك ليوفيجلد (Leovigild) (568- 586 م) [5]،بعدما ان قضى على ما تبقى من النفوذ الروماني في أسبانيا [6].

((لما ملكَ القوطيونَ الأَندلس جعلوا دارَ مُلكهم طليطلة، وكانَ عدد مُلوكهم سبعة وثلاثونَ ملكاً، واكنَ ملكهم بشرقي بلاد روة وجوفها، والذي مَالكَ منهم تِسعة أمالك، وكانَ مُلكهم بالأَندلس ثلاثمائة سنة إلى أَن دَخلها العرب، وفتحها المسلمون))[7].

وبين ابن عذاري المراكشي الوضع الساسيي للأندلس قبيل الفتح العربي بقولهِ:

((والملك التاسع للقوط هو لذريق لما مات غيطيشة، وثب لذريق على مُلك الأندلس بعدهُ، ولم يكن من أهل بيت الملك، وإنما كان من أعمال الملك، كانَ عاملاً على قرطبة؛ فلما ماتَ الملك وثبَ لذريق على الملك فملكَ الاندلس، وإستوثق لهُ مُلكها، وكانَ مُلكهُ بها سنة واحدة

---

(1) صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص ص 62- 63.

(2) الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص 30.

(3) المقري، نفح الطيب، ج1 ص 138.

(4) عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس/ العصر الأول – القسم الأول (من الفتح الى بداية عهدالناصر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417هـ - 1977م، ج 1، ص ص28- 29.

(5) عمران، محمود سعيد، معالم تأريخ أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ب/ت، ص 74؛ السامرائي، واخرون، تاريخ العرب، ص ص12-13.

(6) عاشور، سعيد عبد الفتاح، تأريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت،، 1976 م، ص 71.

(7) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 150؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1 ص ص91 - 92.

وثمانية أشهر، وعليهِ دخل طارق بن زياد وجيوش المسلمين الأندلسَ.. وقيل أنَ لذريق لما إستوثق ملك الأندلس أفسد سنن من تقدمهٌ من الملوك، وبدل سيرتهم وجار وعسف في الرعية))[1]

ثانياً: سياسة القوط في إسبانيا.

كان نِظام الحُكم القوطي في إسبانيا مَلَكياً والمِلك هو الرئيس الأعلى للجيش، ويتمتع بحق عزل الأساقفة عن مناصبهم الدينية، ويحكم مستبدا،ويتصرف في أمور البلاد كما يشاء، ونتيجة استبدادهم بالحكم فقد عاملوا اهل البلد السكان الأصليين معاملة العبيد طوال حكمهم، الى أن طردهم منها المسلمون، وكانت عاصمتهم مدينة طليطلة في وسط شبه الجزيرة الابيرية على نهر تاجة [2]، وقد كان القوط يستأثرون بمزايا الغَلَبة والسيادة،وينعمون بإحراز الإقطاعات والضياع الواسعة، ومنهم وحدهم الحكام والسادة والأشراف، أما السواد الشعب الاعظم، فقوامهٌ طبقة متوسطة رقيقة الحال، وزراع شبه أرقاء يلحقون بالضياع، وأرقاء للسيّد عليهم حتى الحياة والموت، والشعب فقد كانَ في حالة يرثى لها من الحرمان والبؤس، يعاني أمّر ضروب الظلم والعسف والإرهاق [3]، ونتيجة لإستبداد القوط في الحكم، ولاسيما قُبَيل الفتح الاسلامي، وبسوء سياستهم، ساءت حالة أسبانيا، حيثٌ كانت تشكو الإضطراب والفساد الإجتماعي، والتاخر الإقتصادي، وعدم الإستقرار، فالفوضى منتشرة، وكثير من الناس يعيشون في شقاء[4]، ذلك لنفوذ البرجوازية في أوربا القرون الوسطى المثير للدهشة [5].

وارتبط نظام الإقطاعي بالحياة الاوربية في العصور الوسطى، سواء من النواحي السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية، بل الدينية ايضاً [6].

ومع ذلك فلم يكن بإستطاعة القوط ان يجيدوا حكم رعاياهم بل إنهم عجزوا عن حلِ مُشكلاتهم وضغائنهم العائلية المستحكمة، فأدى ذلك الى فقر الشعب وتذمرهٌ [7]،هذا بالإضافة الى ظهور الإنحطاط الإقتصادي في اوربا القرون الوسطى قُبَيل الفتح العربي الإسلامي [8]. وإستمرار الحروب الطاحنة فيما بينهم [9].

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، م2ص 3؛ مؤلف مجهول، ص151.
(2) الكتاني، انبعاث الاسلام في الاندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ - 2005 م، ص 39.
(3) عنان: دولة الأسلام في الاندلس، ص 30، ص 31.
(4) الحجي، عبد الرحمن علي، التأريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة (92-879هـ/711-1492م)، دار القلم، دمشق، 1402هـ -1986م، ص 30.
(5) بيرن، هنري، تأريخ اوربا في القرون الوسطى (الحياة الإقتصادية والإجتماعية)، .ترجمة، عطية القوصي، الهيئة المصرية للكتاب، 1996م، ص63.؛ فرح، نعيم، الحضارة الأوربية في القرون الوسطى، منشورات جامعة دمشق، 1420- 1421هـ - 1999 – 2000م ص 14.
(6) غُنيم، إسمت، دراسات في تأريخ اوربا في القرون الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1998م، ج1 ص 203.
(7) لودر، دورثي، أسبانيا، شعبها وارضها، ترجمة، طارق فودة، مكتبة النهضة المصرية، ب/ ت، ص41.
(8) فرح، نعيم، المرجع السابق، ص 101.
(9) المقري، نفح الطيب، ج1 ص 147.

نستبين مما ورد ذِكرهٌ من أن التأريخ السياسي في شبه الجزيرة الأيبيرية (La peninsula Iberica) مرت بعدة عهود سياسية مختلفة أخرها الروم، فالقوط، الذين هُم قبائل جرمانية إستولت على الجزيرة وإتخذت من طليطلة عاصمة لملكها [1].

و نظام الحكم فيها كان نظاماً مَلكياً مستبداً يحق للملك تعين وعزل الأساقفة من مناصبهم ويتصرّف في أمور البلاد كيفما يشاء وكان السكان الأصليين يعاملون معاملة العبيد طوال حكمهم، وتسلط نفوذ البرجوازية في أوربا القرون الوسطى[2]،وكذلك إرتباط النظام الإقطاعي بالحياة الأوربية في العصور الوسطى، سواء من النواحي السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية، بل حتى الدينية [3] مما أدى إلى إضطراب حياة سكانها، وعاش السكان في فوضى عارمة، لتفشي الخلاف العنصري بين الحاكم والمحكوم، والخلاف المذهبي من أكبر عوامل الهادمة لدولة القوط، والتنافس الدائم على العرش أدت إلى إنقسامات وحروب داخلية وصلت أثارها إلى الجيش القوطي، في إضعافهِ وتفككه [4].

ونتبين مما ذكر من دولة القوط الغربين، هي قبيلة من القبائل الجرمانية التي إستوطنت شبه الجزيرة الإيبيرية، بعد سلسلة من الصراع الطويل فيما بينها وبين قبائل الوندال، تمكن القوط من السيطرة على غالبية الجزيرة، وان أخر ملوك() Gothesالقوط الملوك المتغلبين، يدعى رودريكو (Rodrigo)، ويسمى عند العرب لوذريق، الذي إنتصرت علية جيوش العرب والمسلمين بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، في المعركة الفاصلة كورة شذونة في (92هـ / 711م)، والذي حسب المصادر التأريخية كان النهاية للقوط أخر من حكم الأندلس، وملكها المدعو لوذريق، وعموماً كان الوضع السائد في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي يتسم بالتقهقر والإنحطاط الإقتصادي و الإتجاه إلى أحياء العادات والتقاليد التي كانت منتشرة قبل الإحتلال الروماني و تضعضع إطار الدولة الجرمانية[5].

المبحث الرابع
شبه الجزيرة الإيبيرية تحت الحكم العربي الإسلامي
أولاً: فتح العرب المسلمين للأندلس

(1) طرخان، إبراهيم، دراسات في تأريخ العصور الوسطى (دولة القوط الغربين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1985م، ص 32.
(2) بيرن، هنري، تأريخ أوربا في القرون الوسطى، ص63.
(3) غنيم، المرجع السابق، ج1 ص203.
(4) طرخان، أبراهيم، دراسات في تأريخ أوربا، ص 123.
(5) لومبار، موريس، الإسلام في مجده الأول (من القرن الثاني إلى القرن الثالث الهجري/ الثامن إلى الحادي عشر الميلادي) ترجمة إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الحديثة، المغرب، ط3، 1411هـ - 1990م، ص 114.